الثقافة الإسلامية
THAKAFA ISLAMIA
مجلة محكمة نصف سنوية تعنى بقضايا الفكر والتراث الإسلامي
العدد: 2012/09

الشيخ بابي الكنتي
(1284هـ- 1348هـ)

ملف العدد: المؤسسة الدينية «الأشكال والوظائف»

دارسة العدد: ضوابط الفتوى بين مقام التسيير والإحتياط

إصدارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
ر.إ.ق: 1202 - 2005
ر.د.م.ك: 0869 - 2170

ملتقيات الوزارة:

* مولود قاسم نايت بلقاسم.
* الشيخ الرماصي وأعلام غيليزان: «الإجتهاد والتصوف».
* مخطوطات الخزائن الجزائرية ببلاد زواوة.
* دور علماء الصحراء في الوحدة الوطنية ونشر قيم السلم.
* إتفاق الإباضية والمالكية من أجل الإسلام والوطن.

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
العدد: 2012/09

توزع مجانا

صورة الغلاف:

الدورة العشرون لمؤتمر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي بوهران - الجزائر 2012 -

بسم الله الرحمن الرحيم

الثقافة الإسلامية

مجلة محكمة نصف سنوية تعنى بقضايا الفكر والتراث الإسلامي

العدد: 09 سنة 2012م – 1433هـ

المدير العام مسؤول النشر: الدكتور. بوعبد اللّه غلام اللّه

مدير التحرير : الدكتور. بومدين بوزيد

مستشار المدير العام : الأستاذ. حمزة يدوغي

هيئة التحرير :

السادة : - أ.د صالح بلعيد، - أ.د. عبد القادر بوعرفة، - أ.د. سعيد فكرة،

- أ.د. محمد الأمين بلغيث، - د.عبد العزيز فيلالي، - د.يوسف بلمهدي

- د.محمد عيسى، - د.محند أودير مشنان، - أ.بدر الدين فيلالي.

أمانة التحرير:

- آسيا دواس، - سهام بن الصم، - سمية بوخرص، - بهية بوزرطيط.

رقم الإيداع القانوني: 1202 - 2005
ر.د.م.ك: 0869 - 2170
المراسلات : وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، 04 نهج تيمقاد - حيدرة- الجزائر.
الهاتف: 021.60.37.86
الفاكس: 021.60.22.87

الفـــهـــرس :

۞ **كلمة وزير الشؤون الدينية والأوقاف في افتتاح مؤتمر المجمع الفقهي بوهران** 07

۞ **ملف العدد: المؤسسة الدينية "الأشكال والوظائف"**

1- الخطاب الديني للحركات الإسلامية ونمط التنشئة الإجتماعية
أ.حبي محمد /أ.كمال عويسي- المركز الجامعي غرداية- 17

2- الغرب والإسلام في الجزائر"تحليل لمعوّقات التفاهم"
د.بشير خليفي- جامعة معسكر-. 41

3- المرجعية الدينية الوطنية للخطاب المسجدي
أ. بودالية تواتية / أ.سوالمية نورية– جامعة معسكر-..... 51

4- المنظومة الدينية في التراث الإسلامي
د. طيبي غماري – باحث وكاتب- 77

5- المؤسسة الدينية بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل
أ.خديم أسماء – جامعة معسكر- 91

6- مؤسسة الآباء البيض: الفضاء الديني والإقتراب المجتمعي
د.خواجة عبد العزيز/ أ.داود عمر – المركز الجامعي غرداية-..... 99

۞ **دراسة العدد: ضوابط الفتوى بين مقام التسيير والإحتياط**

د.مختار حمحامي –باحث جامعي- 117

شخصية العدد: الشيخ باي الكنتي

أ.عبد المالك كرشوش 135

المجمع الفقهي في دورته العشرين بوهران - الجزائر

1- ملخصات بعض المحاضرات:

- استكمال الصكوك البريدية 149
- أحكام الإعسار في الشريعة الإسلامية والأنظمة المعاصرة. 151
- دور المجامع الفقهية في ترشيد المؤسسات المالية والإسلامية – الآليات والصيغ- 153
- عقوبة الإعدام في النظر الإسلامي. 155
- حقوق السجين في الفقه الإسلامي 157
- الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري الجيني. 159

2- بيان مجلس المجمع الفقهي الإسلامي الدولي 161

كتب وإصدرات

1- الإسلام في مواجهة العنف 181

2- الدرر المكنونة في نوازل مازونة. 183

كلمة وزير الشؤون الدنية والأوقاف في افتتاح الدورة العشرين للمجمع الفقهي في الجزائر: وهران 13 – 18 سبتمبر 2012.

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين
وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أيها السادة العلماء الأفاضل:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛

يسعدني أن أحييكم وأرحب بكم جميعا معشر العلماء الأفاضل وأشكركم على مشاركتكم في **الدورة العشرين لمجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي**، التي تسعد شقيقتكم الجزائر باحتضانها؛ وإنها لفرصة طيبة ومناسبة كريمة ننعم فيها بلقائكم، ونسعد خلالها بالإعراب عن كبير اعتزازنا بكم وحسن تقديرنا لجهودكم العلمية المباركة التي ما فتئتم تبذلونها بحثا عن الحلول الفقهية المناسبة للمشكلات الطارئة التي يفرزها التطور السريع للحياة المعاصرة في مختلف مجالات الحياة، فقد أثريتم الفقه الإسلامي المعاصر بفضل اجتهادكم الجماعي المنظم، بشقيه الانتقائي الترجيحي والإنشائي الإبداعي، وأنتم تستنيرون بكتاب الله عز وجل وبسنة رسول الله ﷺ وبهدي سلفنا الصالح، مؤكدين بذلك كله سر حيوية التشريع الإسلامي وصلاحيتهَ لكل زمان ومكان؛ فبارك الله جهودكم وأطال في خدمة دينه أعماركم ورفع أقداركم وجزاكم عن المسلمين بأحسن ما يجازي به العلماء العاملين ورثةِ الأنبياء وأمناء الله على خلقه؛ فأجركم – **معشر العلماء الأفاضل** – عند الله عظيم عظمة مسؤوليتكم؛ فمن غيركم يجدد لهذه الأمة أمور دينها، وينير لها سبل النهوض والتقدم؟. ومن غيركم يستطيع الانطلاق – في الوقت نفسه – من الفهم السليم لأحكام الدين ومقاصد شريعته، ومن سنن الله الماضية في كونه وخلقه ومن الواقع المعيش، والوضع الحضاري العام الذي يشهده العالم من حولنا بكل

أبعاده وتناقضاته ومتطلباته، وكل ذلك وفق ما يمليه منطق هذا الواقع الذي يفرض علينا – نحن المسلمين – أكثر من غيرنا – مسايرة التطور المذهل الذي تتسم به الحياة على كوكبنا الأرضي الـذي أصـبح – كمـا تعلمون – قرية الكترونية صغيرة تغير فيها مفهوم الزمان والمكان واضطربت فيها المقـاييس والمـوازين وتعقدت فيها شبكة العلاقات بين المجتمعات بفعل الثورة المعلوماتية وضغوط العولمة الـتي تسـببت في تداخل الثقافات والحضارات؛ مما جعل المفكرين الأحرار في الغرب والشرق على حد سـواء يـدقون ناقوس الخطر ويؤكدون أن الذي يحتاجه عالمنا اليوم القائمُ على التطور الكمي ليس مزيدا مـن القـوة والقدرة على تسخير الكون والطبيعة وإنمـا الـذي يحتاجـه هوتجديـد صـلته بـوحي السـماء، إنه في حاجة إلى مرجعية دينية صحيحة يستمد منها منظومة قيم روحية وأخلاقية وإنسانية؛ ذلـك أن الفراغ العقيدي الذي تعانيه الحضارة المادية المعاصرة قد يعود بالبشرية إلى عهود الظلام والجهل؛ لقد تغذى خيال التوجس الكارثي عند الإنسان اليوم، أيًا مَّا كان موقعه من الكرة الأرضية لأنه أصبح يحس إحساسـا عميقا بأن نعمة هذا التقدم العلمي التكنولوجي المهول قد تنقلب إلى نقمة إذا وظفت – لا قدر الله – في حرب كونية تقضي على كل أثر للحياة!.

إن هذا الوضع الحضاري العام إذا كان قد أورث العالم كله اضطرابا شديدا فإنه أورث المسلمين اضطرابا أشد، جعلهم مذبذ بين بين التمسك بمقومات شخصيتهم الحضارية والاستناد إلى مرجعيتهم الدينية وبين ضغوط الواقع المحكومة بمنظور الحضارة الغربية المهيمنة واستجابتهم لما تمليه عليهم هـذه الضـغوط، مكرهين أحيانا، ومنساقين منبهرين مستسلمين وطائعين أحيانا كثيرة.

أيها السادة العلماء الأفاضل:

إنني على يقين من أن الموضوعات التي ستفصلون القول فيها خلال هذه الـدورة المباركـة إن شـاء الله ستحظى كلها لديكم بما تستحقه من الدراسة المستفيضة والبحث العميق، وأنكم ستقدمون إضافة أخرى معتبرة إلى الرصيد الفقهي الإسلامي المعاصر، وأن جهودكم المشكورة والمأجورة إن شاء الله ستثمر ثروة فقهية عظيمة يعتز بها كل مسلم بصفة عامة وكل فقيه عالم بصفة خاصة؛ لكننا نعلم جميعا – **معشر العلمـاء الأفاضل** – أن ثمرة أي اجتهاد فكري أصيل لا يمكن الانتفاع بها إلا إذا طبقت في الواقع!.

وكيف للمسلمين الذين يعيشون هذا الوضع الحضاري المهزوز أن يقدروا هذه الثروة الفقهية العظيمة حق قدرها في غياب مناخ حضاري ملائم يسمح بتجسيدها وتفعيلها؟بل كيف يجسد المسـلمون هـذه الثروة الفقهية في واقع حياتهم وثقتُهم بأنفسهم قـد اهتـزت بعـد أن شـككتهم ضـغوط العولمـة في مقومات شخصيتهم الحضارية، بل وخوفتهم من دينهم وشريعة دينهم مما جعلهم يعيشون نوعا مـن التيه والضياع لاهتزاز مرجعيتهم الدينية والثقافية والحضارية بفعل تأثير الاستلاب الفكري الذي أفرز ظاهرة غريبة حقا تشكل تحديا للفكر الإسلامي، ألا وهي ظاهرة الإسلاموفوبيا، فبعد أن كان مرض الخوف من الإسلام مقصورا على الغربيين أصبح اليوم مرضا يعاني منه بعض المسلمين أنفسهم؛ ممن اقتنعـوا بـأن

النهوض والتقدم وتحقيق الذات، مرهون كله باتباع نهج الحضارة الغربية، الذي يقوم على مبادئ مقدسة ثلاثة لا تقبل الانفصال وهي: إطلاق الحرية للعقل لكي ينشط بلا حدود، واستقلال الفرد وتمكينه من ممارسة حرياته بلا قيود، والفصل التام بين الزمني والروحي أي تبني اللائكية، وكل ذلك باسم الفكر الوضعي.

لكن الذي يغيب حتى عن بعض مثقفينا أن الفكر الوضعي هونفسه دين؛ لأن هذا الفكر الغربي الذي يسمونه الفكر الحر إنما ينطلق في أسسه من الفكر اليهودي المسيحي، أي من رؤية لم تتحرر من إرث العداء التاريخي القديم للدين الإسلامي؛ فمن الطبيعي إذن أن يعمل هذا الفكر الوضعي اليوم من أجل تنفير المسلمين من الإسلام وتشكيكم فيه وإقناعهم بضرورة التخلي عنه، وتبني ما يسميه بالقيم العالمية والقوانين الدولية بالمفهوم الغربي، الذي يسعى إلى تشكيل ملامح عالم جديد تغيب عنه كلية معاني التمايز الحضاري أوالخصوصيات الثقافية أومقومات الشخصية والهوية، لتحل محلها ثقافة عالمية موحدة هي الثقافة الغربية القائمة على الفلسفة المادية الاستهلاكية التي تشيء الإنسان وتجعله إما مستهلكا وإما مستهلكا، في عالم قائم على التنافس المحموم والجشع، لا مجال فيه للقيم الروحية والعواطف السامية النبيلة.

أيها السادة العلماء الأفاضل:

إن هذا الوضع الحضاري المهزوز يدعوالعلماء المسلمين بإلحاح إلى توسيع دائرة اجتهادهم للتفكير في علاج المشكلة الجوهرية نفسها، والتي لا تنحصر فقط في الخروج من التخلف والضعف وتحقيق الذات، بل وتتمثل في إصلاح الأسس نفسها التي قامت عليها هذه الحضارة المادية السائرة بالإنسان إلى طريق مسدود، وما أفرزته من ضغوط وتحديات شغلتنا – نحن المسلمين بصفة خاصة – عن التفكير في تحقيق كياننا الحضاري المتميز وأداء رسالتنا الإنسانية العالمية باعتبارنا خير أمة أخرجت للناس، والخيرية – كما تعلمون – إنما تكون بالريادة لا بالوراثة!.

فالمسؤولية ثقيلة والمهمة عظيمة، إنها إنقاذ أمة تبدوفي شكل كيان مشلول يضطرب وسط هذا العالم المعقد، الذي يغذي فيها شعورها بالنقص ويقوي انبهارها بهذه الحضارية الغربية ويدفعها إلى الإيمان بأن لا نهوض ولا حياة إلا بانتهاج نهجها؛ كما أسلفت؛ باعتباره عصارة التجربة البشرية كلها، كما يزعم الفكر الغربي المعاصر الذي يرى بأن الحضارة والمدنية والتاريخ بل والإنسانية جمعاء هوفقط ما دار في فلك النمط الغربي، أما ماعدا ذلك فهوخارج التاريخ والحضارة والمدنية والإنسانية، وهذا ما عبر عنه أحد رواد هذا الفكر، وهوفرانسيس فوكوياما الذي لخص هذا الغرور المحموم في كتابة **"نهاية التاريخ"** عند ما قال: «**يبدولي الجنس البشري كما لوكان قطارا طويلا من العربات الخشبية التي تجرهاالجياد متجها إلى مدينة بعينها عن طريق طويل في قلب الصحراء؛ وفعلا يصل أغلب**

هذه العربات إلى المدينة في النهاية، وهذه العربات عندما تصل لا يختلف بعضها عـــن بعـــض إلا في توقيت وصولها إلى المدينة، أي في سرعة أوبطء وصولها إلى الديموقراطية الليبرالية الغربية، ومن ثم إلى نهاية الرحلة الطويلة، نهاية التاريخ!».

أيها السادة العلماء الأفاضل:

إن هذا الغرور ثمرة طبيعية من ثمرات الحضارة الغربية التي جعلت من الإنسان الغـــربي عملاقـــا ضخما بفضل تقدمها المذهل في مجال التكنولوجيا والكشوف العلمية، فوسع دائرة تفوقه في مجال المـــادة لتشمل الأفكار والقيم والفلسفات والعقائد والأخلاق، فنصب نفسه بنفسه مشرعا للبشرية كلها وحكمـــا وحاميا في نزعة إقصائية مستعلية عنيدة، فهويبث قيم حضارة أفلست روحيا وأخلاقيا؛ حضارة تزعم أنها تخدم الإنسان بينما هي تدمر هذا الإنسان؛ لأنها – كمال قال المرحوم رجاء جارودي **"أستاذ في تعليم الإنسان كيف يعيش لكنها عاجزة عن أن تعلمه لماذا يعيش ولمن يعيش"**.

وكلنا يعلم – **أيها السادة العلماء الأفاضل** – أن المشرع للبشرية كلها إنما هوالله سبحانه، فلـــيس لمخلوق مهما يكن متفردا بعبقريته أن ينصب نفسه مشرعا، ناهيكم من أن يفرض هذا التشـــريع علـــى الغير فرضا لأن هذه القيم تفقد صفة الإطلاق والقداسة وتصبح مجرد قيم ذاتية!.

لكن الذي ينبغي توجيه النظر إليه هوأن هذا الغرب الذي يسعى اليوم إلى تعميم قيمـــه ونظمـــه وفلسفته ويجعلها إنسانية عالمية مطلقة، إنما يصنع ذلك بدافع من ثقته المطلقة بنفسه؛ هذه الثقة التي يستمدها مـــن قوتـــه التكنولوجيـــة الحربيـــة والاقتصـــادية والصـــناعية؛ والحقيقـــة الـــتي لم نـــدركها – نحن المسلمين – بوعي كاف هي أن هذه القوة التكنولوجية لم يصنعها رجال السياسة في الغرب وإنما صنعها العلماء المبدعون في مختلف مجالات العلوم... أي في مخابر الجامعات! فسر قوة الغرب وتفوقِه مرده إلى نشاط جامعاته العاملة المنتجة المبدعة المستجيبة لمتطلبات المجتمع الغربي ولطموحه، المحققة لرغبتـــه في الهيمنة الحضارية وبسط النفوذ على الغير، وعولمة قيمه ونظمه! فالجامعة في الغرب لا تصنع التكنولوجية فحسب؛ بل إنها إلى جانب ذلك ترسخ الإيديولوجيا في مجال الفكر والسياسة والإقتصـــاد والإجتمـــاع والثقافة وغيرها!.

هذا واقعهم. .. بينما نحن المسلمين لم ندرك بعد أن إستهلاك منتوج حضارة لا يصنع الحضارة، فالذي يصنعها هوالفكر المبدعِ المنتج، كما أننا لم ندرك بعد بوعي كامل أن إبراز مرجعيتنا الدينية نفسها وتجسيدَ أحكام شريعتنا وتفعيلَ ثروتنا الفقهية لا يتم في الإدارة، ولا تحققه المنظمات والجمعيات وإنمـــا تقـــوم بـــذلك كلـــه الجامعـــات. .. فـــأين مـــردود جامعاتنـــا اليـــوم؟!

أيها السادة العلماء الأفاضل:

إن مما لا يخفى عليكم أن الانبهار بما هوشكلي في هذه الحضارة الغربية جعلت المسلمين يعانون نوعا من الانفصام في حياتهم؛ بل وفي شخصيتهم الثقافية والحضارية، ذلك أنهم يعيشون ثقافتين: ثقافة حديثة غربية وثقافة تراثية إسلامية؛ مما أورثهم ازدواجية في التفكير والسلوك؛ وتناقضا بين ما يرفعونه من شعار وما يطبقونه في الواقع!.

فهم – من جهة – تراهم يؤكدون تمسكهم بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، ويعلنون بثقة واعتزاز إيمانهم بأنهم أغنياء بهذا الإسلام عن كل المذاهب والنظم والفلسفات الوضعية، لكنهم في واقعهم المعيش يظهرون بعكس ذلك تماما لأنهم في مجالات حياتهم العملية، سواء منها السياسية أوالاقتصادية أوالاجتماعية أوالثقافية، نجدهم محكومين بالمنظور الغربي لكافة هذه المجالات الحيوية، فمنظومتهم القانونية مثلا خاضعة للقانون الدولي وهو- كما نعلم جميعا – صياغة غربية – بمعنى أن الفلسفة التي تستند إليها منظومة القيم التي تحكم الأسرة مثلا، من حقوق المرأة والطفل وحقوق الإنسان عموما، بما فيها حرية المعتقد إنما هي الفلسفة الغربية! فالمسلمون، في اغترابهم الإرادي عن الذات يظهرون كمن فقد مفتح بابه فاستعار مفتاح جاره، فتراه يحاول عبثا الولوج إلى بيته.

وإذن فإن هناك هوة تفصل المتطلبات الحقيقية للواقع الحضاري للمسلمين وأولوياته الملحة، تفصلها عن الاهتمامات التي ينصب عليها الفكر الإسلامي المعاصر ويركز عليها اجتهاده.

والسؤال الكبير الذي يفرض نفسه بقوة هوما هي أقصر السبل إلى التحرر من التبعية والتخلف والضعف ومن ثم إلى النهوض وتحقيق الذات حضاريا أولا، ثم تقديم البديل المنقذ للبشرية ثانيا!.

فالعبقرية ليست في الاكتفاء بالاستجابة المستمرة لتحديات العولمة وضغوطها، كما أن العبقرية ليست في الإسراع للحاق بقطار فوكوياما والفوز بمكان في إحدى عرباته أي بركب الحضارة الغربية، وإنما العبقرية كل العبقرية هي إنقاذ القطار نفسه وبمن فيه لأنه يسير في اتجاه مجهول!! فهل في مقدور المسلمين اليوم تحقيق ذلك؟!.

أيها السادة العلماء الأفاضل:

إنكم خير من يعلم أن الوضع الحضاري المتردي الذي نعيشه اليوم يمكن تجاوزه وعلاجه إذا توفرت الهمة العالية والإرادة الصادقة وحسن التوكل بعد العزم على الله. . شريطة أن نجدد صلتنا بالقرآن والعمل بأحكامه، وأن نستلهم أسس مشاريعنا الكبرى كلها من قيمه ومبادئه وتوجيهاته لأن القرآن دعوة إلى الحياة والحياة لا تتجزأ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ (الآية 24 ،سورة الأنفال)؛ والسؤال الموجه إليكم أنتم قبل غيركم معاشر العلماء الأفاضل

هو: كيف نجدد صلتنا هذه بالقرآن، كيف نتحرر من هذه الأكنّة التي على قلوبنا، فنقيم القرآن ونجسده حقا في واقع حياتنا، إيمانا وتمثلا وفهما وحسن تطبيق؛ فلا نكون ممن عنتهم هذه الآية الكريمة ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾.(الآية 25 ، سورة الأنعام)

أوقوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾.(الأية 175، سورة الأعراف)

فكيف نتيه وكيف نشقى وكيف نهون وعندنا القرآن الذي به اهتدى أوائلنا وبه سعدوا وبه عزوا وسادوا؟!.

إنه الاغتراب الإرادي عن الذات والانبهار بما عند الغير وانتهاج سبل تفكيرهم وأنماط عيشهم بالرغم من أن القرآن الكريم يحذرنا من موالاة الكفار واتخاذهم نماذج نقتدي بهم في الحياة، سواء ذلك بدافع من الخوف منهم أوالطمع فيما عندهم، قال تعالى: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ**﴾. (الآية 52، سورة المائدة).

ولقد سمى القرآن ما عند الكفار من فلسفات ونظم ومذاهب وعقائد أهواء، ومن شأن هذه الأهواء إذا ركن المسلمون إليهم واستأنسوا بهم أن تفتنهم عن دينهم قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾. (الآية 49، سورة المائدة)

فكيف يحذر الله سبحانه نبيه الكريم" ص"من فتنة الكفار ولا نستشعر نحن اليوم هذا الخطر العظيم فنتجاوز اقتناء منتوجات حضارتهم المادية الاستهلاكية إلى تبني مفاهيمهم وأفكارهم ونظمهم ولوتعارضت مع كتاب ربنا وسنة نبينا "ص"؟!.

إننا أمة القرآن... أعزنا الله بالقرآن فالأولى أن نطلب العزة منه قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**﴾.(الآية 139، سورة النساء).

إن خصومتنا – نحن المسلمين اليوم ليست مع الآخر. .. فالآخر حقق ما حقق وفق فلسفته الخاصة ونظرته المتميزة للحياة، بل إن خصومتنا مع ذاتنا، إذ لم نغير بعد ما بأنفسنا ليغير الله ما بنا!.

أيها السادة العلماء الأفاضل:

إن أقصى ما نطمح إليه هوأن نحقق درجة من الوعي تجعلنا نقدر ما يتطلبه طموحنا إلى أن نكون رقما في التاريخ المعاصر!. ولعل أول ما يتطلبه ذلك أن نعي بعمق أن تحقيق هذا الطموح لن يكون بما نمتلكه من ثروة مادية زائلة مهما يمتد بها الزمان، كما أن ذلك لن يتحقق بكثرة العدد إذا كانت هذه

الكثرة – لا قدر الله – غثاء كغثاء السيل كما جاء في الحديث المشهور "**بل أنتم يومئذ كثر، ولكن غثاء كغثاء السيل**"؛ إننا بهذا الاطمئنان الزائف إلى ما في بطون أراضينا من ثروات نرهن مستقبل أجيالنا، فلا بد من التفكير بل التخطيط لمرحلة ما بعد هذه الثروة وما يعقبها من سنوات عجاف!.

والحل ننتظره منكم، معاشر العلماء الأفاضل، أنتم المؤهلون لاستلهامه من القرآن الكريم القادر على صياغة الحياة في كل زمان وفي كل مكان، فلا بد من الاعتبار بتاريخ الأمم الغابرة المذكورة في القرآن، من خلال تفاعلها مع سنن الله الماضية في خلقه وكونه، وكذا من خلال سير الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين بينوا لتلك الأمم جميعا سنة الأخذ بالأسباب، والعزم، وما يتطلبه من تفكير وتخطيط وحسن تقدير، ثم التوكل بعد ذلك على الله سبحانه، الذي لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون!.

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الآية 11، سورة يوسف) وانطلاقا من هذا المنظور القرآني أقول: ما أشبه أمة الإسلام اليوم بمجتمع العزيز ملك مصر في الماضي البعيد، وما أحوج هذه الأمة اليوم إلى عبقرية في التخطيط كعبقرية نبي الله يوسف عليه السلام الذي وضع تخطيطا اقتصاديا معجزا تمكن بفضله ذلك المجتمع من تجاوز السنين السبع العجاف بعد أن عبر رؤيا الملك!.

لقد قدم سيدنا يوسف عليه السلام الحل المنقذ للمجتمع وهوفي السجن، لكن المطلوب اليوم هوتقديم حل منقذ لأمة هي التي تعيش في شبه سجن؛ سجن العولمة الكبير، لكي تتخطى جدرانه السميكة، وتتحرر اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا وحضاريا، حل يكون ثمرة اجتهاد فكري يقوم به علماء مختصون في شتى العلوم والمعارف، لتقديم مشروع تنموي ونهضوي عام يقوم على الإنتاج والادخار في آن واحد؛ وذلك تحسبا للسنوات العجاف التي ستعقب حتما مرحلة ما بعد الثروة الزائلة التي يقتات منها المسلمون اليوم!.

ولعل من المناسب هنا أن نشير إلى أن من المفارقات المحزنة أن نجد غيرنا ممن يستند إلى الفكر الوضعي وحده، يتفطن إلى قيمة العمل، والإنتاج ويتفطن إلى كون الإنسان هوالعصب الحساس في كل مخطط تنموي أومشروع نهضوي، فَيُصَدِّر صاحب جائزة نوبل في الاقتصاد تيودور شولز رسالته بقوله: «**الإنسان هورأس المال الحقيقي**»، أقول إن من المحزن أن يتفطن غيرنا إلى ذلك كله ونغفل عن هذه الحقيقة الجوهرية؛ نحن حاملي راية القرآن الذي يخبرنا بأن العمل في الإسلام ليس ضرورة أوواجبا أوحقا فحسب، بل هوسبب الخلق وعلة الوجود أصلا؛ قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾. (الآية 2 ، سورة الملك).

إن هناك شرطين أساسيين لا تقوم حياة مجتمع بدونهما، الكفاية من العيش والأمن والاستقرار؛ وقد جاء ذلك على لسان إبراهيم عليه السلام عندما ناجى ربه قائلا: ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا**

وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (الآية 126، سورة البقرة) غير أن القرآن الكريم يخبرنا أن هذين الشرطين لا يكونان شيئا إذا لم يستندا إلى عقيدة واحدة موحدة، ولذلك ربطهما مباشرة بالعقيدة فقال: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾** (الآيتين 3-4 ، سورة قريش)

فالتنمية في المنظور الإسلامي ليست مجرد مخططات ومشاريع وإمكانيات مادة، بل هي قبل ذلك كله عقيدة وفلسفة ومنظومة قيم دينية وروحية وأخلاقية؛ وهذا ما يجعلكم وأمثالكم – معاشر العلماء – المحور الرئيسي لهذا الاجتهاد الفكري الجماعي من أجل وضع ذلك المخطط التنموي أوالمشروع النهضوي العام الذي ننشده!.

إن الآمال المعلقة عليكم وعلى أمثالكم من العلماء العاملين هي بحجم طموح هذه الأمة إلى الإنعتاق والتحرر والخروج من التخلف والضعف من أجل تحقيق كيانها الحضاري الإسلامي المتميز وأداء رسالتها الحضارية الإنسانية العالمية.

هذا؛ وإني إذ أجدد الترحيب بكم جميعا والإعراب عن سعادتنا بلقائكم واعتزازنا بكم أسأل المولى تعالى أن يكلل جهودكم بالنجاح لتحقق هذه الدورة التي نعْلن عن افتتاحها اليوم النتائج المرجوة من تنظيمها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته